ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Thanaa Mohammed Saleh

College of Arts, University of Baghdad

Email: yusif.h.m@uomosul.edu.iq

Keywords:

Raghiba Khatoun, Urban Planning, Social Justice, Human Development, Baghdad.

CC BY

Article info

Article history:

Received 20. Jun 2026

Accepted 28. Jul.2026

Published 25. Aug.2026

Sustainable Urban Development: Raghiba Khatoun as a Model

ABSTRACT

This study examines sustainable urban development in the Raghiba Khatoun district of Baghdad as a model reflecting the urban, social, and environmental challenges facing Iraqi cities. Sustainable urban development represents a fundamental pillar of comprehensive development, aiming to achieve a balance between population growth, urban expansion, environmental preservation, and improvements in quality of life. Since the mid-twentieth century, Iraq has experienced rapid demographic and urban transformations driven by population growth and large-scale rural-to-urban migration, particularly toward Baghdad, creating significant pressure on urban infrastructure and public services. The study highlights the reality of Raghiba Khatoun and the impact of urban encroachments that have negatively affected its urban fabric, environmental conditions, and social structure. These challenges have contributed to weakening social cohesion, urban identity, and spatial justice. Furthermore, the research draws upon the principles of sustainable development emphasized in international conferences, particularly the human-centered approach that prioritizes social justice, community participation, equitable distribution of resources, and inclusive urban governance. The findings indicate that addressing the urban challenges in Raghiba Khatoun requires integrated planning and development policies that simultaneously consider urban, social, and environmental dimensions. Such policies are essential for achieving sustainable urban development capable of improving residents' living conditions, strengthening social stability, and promoting long-term urban resilience. The study concludes with a forward-looking vision that may serve as a practical framework for the sustainable redevelopment of residential areas across Baghdad, contributing to more balanced and inclusive urban growth.

© 2026 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol64.Iss2.5428

التنمية الحضرية المستدامة "راغبة خاتون انموذجاً"

أ.د. ثناء محمد صالح
جامعة بغداد ـ كلية الآداب ـ قسم الاجتماع

الملخص

تناقش هذه الدراسة موضوع التنمية الحضرية المستدامة في منطقة راغبة خاتون بمدينة بغداد بوصفها نموذجاً يعكس التحديات العمرانية والاجتماعية والبيئية التي تواجه المناطق الحضرية في العراق. وتُعد التنمية الحضرية المستدامة أحد المرتكزات الأساسية للتنمية الشاملة، إذ تهدف إلى تحقيق التوازن بين متطلبات النمو السكاني والتوسع العمراني من جهة، والحفاظ على البيئة وتحسين نوعية الحياة من جهة أخرى. وقد شهد العراق منذ منتصف القرن العشرين تحولات ديموغرافية وعمرانية متسارعة نتيجة الزيادة السكانية والهجرة الريفية نحو المدن، الأمر الذي فرض ضغوطاً كبيرة على البنية التحتية والخدمات الحضرية، ولا سيما في العاصمة بغداد، وتسلط الدراسة الضوء على واقع منطقة راغبة خاتون وما تعرضت له من تجاوزات عمرانية أثرت سلباً في النسيج الحضري والبيئي والاجتماعي، وانعكست على مستويات الترابط الاجتماعي والهوية الحضرية والعدالة المكانية. كما تستند الدراسة إلى مبادئ التنمية المستدامة التي أكدت عليها المؤتمرات الدولية، ولا سيما التركيز على البعد الإنساني والاجتماعي بوصفه محوراً أساسياً في عمليات التنمية، من خلال تعزيز العدالة الاجتماعية والمشاركة المجتمعية والتوزيع العادل للخدمات والموارد، وتخلص الدراسة إلى أن معالجة المشكلات العمرانية في راغبة خاتون تتطلب تبني سياسات تخطيطية وتنموية متكاملة تراعي الأبعاد العمرانية والبشرية والبيئية معاً، بما يسهم في تحقيق تنمية حضرية مستدامة قادرة على تحسين الواقع المعيشي للسكان وتعزيز الاستقرار الاجتماعي. كما تقدم الدراسة رؤية استشرافية يمكن الاستفادة منها في تطوير المناطق السكنية الأخرى في بغداد وفق أسس التخطيط الحضري المستدام.

الكلمات المفتاحية: راغبة خاتون، التخطيط الحضري، العدالة الاجتماعية، التنمية البشرية، بغداد.

١. المقدمة

تعد التنمية الحضرية احدى أبرز مظاهر التنمية الشاملة والمستدامة ويتمثل ذلك بزيادة المراكز الحضرية من حيث الحجم والعدد، والبنية التحتية والخدماتية والتطورات الاجتماعية والاقتصادية. ظهر مفهوم التنمية الحضرية انطلاقا من النصف الثاني من القرن العشرين في العديد من الدول المتقدمة (بريطانيا، المانيا، ايطاليا، هولندا) ففي فرنسا مثلا ظهر استعماله منذ بداية السبعينيات موازاة مع اعتماد الدولة لنظام اللامركزية وفي العراق ظهر في الخمسينيات من القرن الماضي مرتبطا ظهوره ببرامج التنمية الحكومية الاولى كنتيجة للزيادة الطبيعية والهجرة الكثيفة من الريف الى المدن (وتحديدا الى العاصمة بغداد) مما دفع الدولة الى بدء وضع برامج وتصاميم اساسية لتخطيط المدن(ف. ع. ا. محمد, ٢٠٠٥). في مؤتمر البنك الدولي الاول للبيئة – ١٩٩٣، تم التأكيد على الجانب الاجتماعي في التنمية المستدامة، بمعنى ان الناس اولا وذلك من خلال ضرورة التركيز على مفهوم: العدالة الاجتماعية التوزيع الديموغرافي للسكان الترابط الاجتماعي والمشاركة والشخصية والهوية(رشد & جلود, ٢٠١٧). فبعد ان كانت مبادئ النمو والتنمية التقليدية تركز في الاساس فقط على ضرورة التنامي السريع لوتيرة الانتاج ,وزيادة الانتاجية وفي اسرع وقت ممكن دون اعتبار للاثار السلبية التي يخلقها التنامي السريع على الانسان والموارد الطبيعية وديمومتها , وعلى المحيط والنظام الطبيعي , بدأ التركيز يتحول

نحو اعتبارات اضافية , البعض منها اخذ يدمج مفهوم (الاستدامة) في مفهوم (التنمية البشرية) , وذلك سعيا للتخفيف من حدة وربما القضاء على المخاطر الجديدة التي بدأت تهدد اسس الحياة البشرية على الارض(هاشم, ٢٠١١).

الهدف الحادي عشر من أهداف التنمية المستدامة يدور حول «المدن والمجتمعات المستدامة» وهو أحد أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر التي وضعتها الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ٢٠١٥. الهدف الحادي عشر هو «جعل المدن شاملة، وآمنة، ومرنة، ومستدامة». تأخذ أهداف التنمية المستدامة السبعة عشر في الحسبان أن العمل في أحد المجالات سيؤثر على النتائج في مجالات أخرى أيضًا، وأن التنمية يجب أن توازن بين الاستدامة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية. تشمل غايات الهدف الحادي عشر من أهداف التنمية المستدامة: الاستثمار في النقل العام، وإنشاء مساحات عامة خضراء، وتحسين التخطيط والإدارة الحضريين بطرق تشاركية وشاملة(البستنجي, ٢٠٢٤).

راغبة خاتون من المناطق الحضرية التي يمتد عمرها الزمني عمرانياً الى العهد العثماني وسميت بهذا الاسم نسبة الى السيدة راغبة التي كانت ذات نفوذ كبيرة وتملك الاراضي في المنطقة(السلام, ٢٠٠٤، ص٧٦). بدأ العمران فيها بين الثلاثينات والاربعينات(السلام, ٢٠٠٠، ص ٣٢٦) ، وانتقل اليها كثير من سكنة مناطق الفضل والعزة وبنو فيها البيوت والأسواق (Baghdādī, 1963,Vol1,p.193) والقادمين من المدن الأخرى وخصوصا من موظفي الدولة وضباط الجيش والطبقة البرجوازية الصغيرة.

وقد بنيت على طريقة الفلل الصغيرة والبيوتات المريحة حيث الفناءات الواسعة والحدائق الجميلة المطرزة بالأشجار والورود ، وتمتزج بين الحداثة الاوربية والتراث البغدادي ، بعضها يحتوي على بلكونة تطل منها على الناس في الشارع وهي مكان عالٍ تخرج اليه العائلة من غرف البيت اليها وهي منفتحة على الهواء الخارجي خصوصاً في فصل الربيع والخريف أحياناً ، وسطح تلك الفلل والبيوت يمتد على كامل مساحة البناء وأكثر سكانها يستعملونه في نومهم ليلا طوال ايام الصيف الحار والايام الاولى من فصل الخريف حيث تضم معظم السطوح على غرف صغيرة تسمى البيتونة والتي تستخدم لخزن أفرشة النوم خلال النهار(ميرزا, ٢٠١٤)، ومنطقة راعبة خاتون جزء من قضاء الاعظمية (مركز القضاء) وهي منطقة تقع شمال مدينة بغداد على الجانب الشرقي لنهر دجلة ، يبلغ عدد سكان الاعظمية حوالي ٣٠٠.٠٠٠ نسمة (al-Aʿẓamī & Ḥanīfah, n.d.) ، وراغبة خاتون تضم عدة أحياء سكنية مثل (حي الشماسية والمغرب وغيرها) وفيها العديد من الجوامع والمساجد أشهرها جامع (العساقي) الذي بني في عهد الملك فيصل الثاني ١٩٥٦ و جامع(الشيخ جلال) ، كما تضم ثانوية كلية بغداد(أحمد & محمد, ٢٠١٠)وفيها العديد من المحال والاسواق ، فضلا عن وجدود العديد من الدوائر الحكومية منها مديرية التربية التي قامت ببناء العديد من المدارس ، كما قامت بتوزيع قطع اراضي للمعلمين والعاملين بها بمساحة ٦٠٠ م لتبنى بيوت على نظام الفلل في ذلك الوقت ، لذلك تجد غالبية سكان ذلك الحي (الشماسية) من المعلمين القدامى . عائلة الحاج الوجيه محمد صالح عبد الرحيم الحديثي (التي تنتمي اليها الباحثة) واحدة من العوائل البغدادية الاصيلة ذات الاصول العشائرية العريقة (من مدينة الحديثة في الانبار)، والتي استقرت في منطقة راغبة خاتون في محلة ٣١٦ زقاق ٣ , وقد عرف عن عميد العائلة الحاج محمد صالح عبد الرحيم الحديثي (رحمه الله) وأبنائه حسن السيرة , والاستقامة، والنزاهة , مما جعل دارهم مقصدا ومجلسا للوجهاء والجيران , جسدت العائلة قيم " الجرغد " والبغدادية الاصيلة(al-Aʿẓamī & Ḥanīfah, n.d.).

ومن ابرز الشوارع المحيطة بها شارع المشاتل من الشمال وشارع الضباط من الجنوب وشارع الكم من الغرب وساحة عنتر وشارع عشرين من الشرق ويمثل قطاع الاسكان احد القطاعات الحيوية في خطة التنمية ، حيث أن واقع الاسكان في العراق قد مر بمرحلة تغير تمثلت بظهور مشاكل سكنية منها الزيادة في الحاجة السكنية ، حيث اظهرت التقديرات الحالية الحاجة الى حوالي (٢) مليون وحدة سكنية في المناطق الحضرية العراقية بحلول عام (٢٠١٦) ، ومع تلك

التغيرات اضحى من الضروري وضع معايير تخطيطية تلائم ذلك التغيير ، واعادة النظر فيها لتواكب التطورات التي يمر بها المجتمع(الزهرة, ٢٠١٤، ص٣) كما امتدت مشكلة التلوث البيئي بوضوح مع مجيء الثورة الصناعية وامتدت اثارها لتشمل الانسان وممتلكاته والانظمة البيئية المستدامة ، ويصفها البعض على انها الوريث الذي حل محل المجاعات والاوبئة لخطورتها وعمق اذاها الذي امتد الى كل مجالات الحياة البشرية المادية والصحية والنفسية الاجتماعية.

تنبع إشكالية هذا البحث من التحولات العمرانية والاجتماعية التي شهدتها منطقة راغبة خاتون بعد عام ٢٠٠٣، والتي أسهمت في إحداث تغييرات جوهرية في بنيتها الحضرية وتركيبتها السكانية. فقد أدت ظروف الانفتاح الحضاري وما رافقها من تغيرات ثقافية واجتماعية، إلى جانب موجات التهجير القسري والطوعي التي شهدها المجتمع العراقي خلال تلك المرحلة، إلى زيادة الضغوط على البيئة الحضرية للمنطقة. كما أسهمت مظاهر عدم العدالة في توزيع الخدمات والموارد وفرص التنمية في تعميق المشكلات العمرانية والاجتماعية، الأمر الذي انعكس على واقع المنطقة من خلال انتشار التجاوزات العمرانية وتراجع كفاءة البنية التحتية والخدمات الأساسية.

ولم تقتصر انعكاسات هذه المتغيرات على الجانب المادي أو العمراني فحسب، بل امتدت لتؤثر في الأبعاد الحضارية والاجتماعية والنفسية للسكان، إذ أضعفت بعض مظاهر التغيير غير المنظم من مستوى الترابط الاجتماعي والشعور بالانتماء إلى المكان، كما أسهمت في بروز مشكلات نفسية واجتماعية ناتجة عن التغيرات السكانية والضغوط المعيشية المتزايدة. ومن هنا تتحدد إشكالية البحث في محاولة فهم العلاقة بين هذه التحولات والتجاوزات العمرانية وبين مسار التنمية الحضرية المستدامة(جبر & جاسم, ٢٠١٩)، ومدى تأثيرها في قدرة المنطقة على تحقيق بيئة حضرية متوازنة تلبي احتياجات السكان الحالية وتحافظ في الوقت ذاته على مقومات التنمية المستقبلية.

في ضوء هذه الإشكالية، يسعى البحث إلى الإجابة عن مجموعة من التساؤلات التي تمثل الإطار التوجيهي للدراسة، إذ يتساءل عن طبيعة التجاوزات العمرانية التي شهدتها منطقة راغبة خاتون بعد عام ٢٠٠٣، والعوامل التي أسهمت في ظهورها واتساع نطاقها. كما يتساءل عن حجم الآثار الحضارية والاجتماعية والنفسية التي ترتبت على هذه التجاوزات، ومدى تأثيرها في البيئة الحضرية والعلاقات الاجتماعية ومستوى الاستقرار النفسي للسكان. كذلك يطرح البحث تساؤلاً محورياً يتعلق بإمكانية وضع رؤية تنموية مستدامة تسهم في معالجة مظاهر التراجع العمراني وإعادة توجيه مسار التنمية في المنطقة بما ينسجم مع متطلبات التخطيط الحضري الحديث وأهداف التنمية المستدامة.

يسعى البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية والتنموية تتمثل في تشخيص أبرز التجاوزات العمرانية التي تعرضت لها منطقة راغبة خاتون بعد عام ٢٠٠٣ وتحليل أسبابها وخصائصها. كما يهدف إلى دراسة الآثار الحضارية والاجتماعية والنفسية المترتبة على هذه التجاوزات وبيان انعكاساتها على المجتمع المحلي والبيئة الحضرية. ويهدف البحث كذلك إلى تقديم رؤية استشرافية قائمة على مبادئ التنمية الحضرية المستدامة يمكن أن تسهم في تصحيح مسار الارتداد العمراني الذي شهدته المنطقة، وجعلها نموذجاً يمكن الاستفادة منه في معالجة المشكلات والتحديات الحضرية التي تواجه العديد من المناطق السكنية في بغداد والعراق بصورة عامة.

٢. المنهجية

استناداً إلى طبيعة موضوع الدراسة وأهدافها، اعتمد البحث على المنهج الوثائقي بوصفه أداة رئيسة في مراجعة الأدبيات العلمية والدراسات السابقة والوثائق الرسمية ذات الصلة بموضوع التنمية الحضرية المستدامة(موسى, ٢٠٢٦) والتغيرات العمرانية التي شهدتها منطقة راغبة خاتون. كما تم توظيف المنهج الوصفي التحليلي بهدف تشخيص الواقع

الحضري للمنطقة وتحليل التحولات العمرانية والاجتماعية والبيئية التي طرأت عليها بعد عام ٢٠٠٣، والكشف عن انعكاساتها المختلفة على البناء الحضري والمجتمعي.

واعتمدت الدراسة كذلك على منهج الفهم الذاتي (Verstehen) الذي يتيح تفسير الظواهر الاجتماعية من خلال فهم معانيها ودلالاتها في سياقها الواقعي، بما يساعد على استيعاب التغيرات التي طرأت على المنطقة وتفسير سلوك الأفراد والجماعات تجاه تلك التحولات. ولغرض جمع البيانات والمعلومات الميدانية، استُخدمت الملاحظة العلمية المباشرة بوصفها إحدى الأدوات الأساسية للبحث، فضلاً عن الملاحظة التتبعية المعمقة التي أتاحت رصد التغيرات العمرانية والاجتماعية عن قرب، ومتابعة آثارها في البيئة الحضرية والسكان بصورة أكثر دقة وموضوعية.

الرؤية النظرية للدراسة

استندت الدراسة إلى بعض المرتكزات النظرية في علم الاجتماع الحضري، ولاسيما نظرية الفعل الاجتماعي عند عالم الاجتماع الأمريكيTalcott Parsons ، الذي ينظر إلى الفعل الاجتماعي بوصفه منظومة مترابطة من الأنساق التي تتفاعل فيما بينها لتحقيق الاستقرار والتوازن الاجتماعي. ويرى بارسونز أن الفعل الاجتماعي يتكون من ثلاثة أنساق رئيسة هي: نسق الشخصية الذي يعكس حاجات الأفراد ودوافعهم، والنسق الاجتماعي الذي يجسد الأدوار والتوقعات الاجتماعية المتبادلة، والنسق الثقافي الذي يعبر عن القيم والمعايير والتوجهات الفكرية السائدة في المجتمع.

وتتسم هذه الأنساق بعلاقات متبادلة من التأثير والتفاعل، إذ يرتبط كل منها بالآخر ضمن شبكة من الاعتماد الوظيفي المتبادل، مع احتفاظ كل نسق بقدر من الاستقلالية التحليلية. ويرى بارسونز أن استمرار أي نسق اجتماعي وتحقيقه للتوازن يتطلب مواجهة مجموعة من المتطلبات الوظيفية الأساسية تتمثل في التكيف، وتحقيق الأهداف، والتكامل، والمحافظة على النمط الثقافي والقيمي.

فالتكيف يشير إلى قدرة النسق على الحصول على الموارد المتاحة في البيئة المحيطة وتوظيفها بصورة فعالة بما يضمن استمراريته، بينما يتمثل تحقيق الأهداف في قدرة النسق على تعبئة موارده وإمكاناته وتوجيهها نحو تحقيق غاياته وأولوياته. أما التكامل فيرتبط بتنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات والمؤسسات المختلفة داخل المجتمع بما يضمن الانسجام والتوافق الاجتماعي. في حين يشير الحفاظ على النمط الثقافي إلى ضرورة صيانة منظومة القيم والمعايير الاجتماعية ونقلها بين الأجيال بما يحقق استمرارية المجتمع ويعزز التزام أفراده بالقيم المشتركة.

وفي ضوء هذه الرؤية النظرية، يمكن النظر إلى التغيرات العمرانية والاجتماعية التي شهدتها منطقة راغبة خاتون باعتبارها مؤشرات على اختلال بعض الوظائف الأساسية للنسق الحضري، الأمر الذي انعكس على مستوى التكيف الاجتماعي والتكامل المجتمعي والقدرة على تحقيق أهداف التنمية الحضرية المستدامة.

وعلى المستوى العالمي، برزت خلال العقود الأخيرة مخاوف متزايدة بشأن العلاقة بين الإنسان والبيئة نتيجة الآثار السلبية للتوسع الصناعي والعمراني غير المنظم. وقد دفعت هذه التحديات العديد من الباحثين إلى وصف المرحلة المعاصرة بأنها مرحلة تزايد الضغوط البشرية على البيئة الطبيعية، الأمر الذي أدى إلى بروز مفاهيم التنمية المستدامة والحفاظ على البيئة بوصفها استجابة علمية وعملية لهذه التحديات. ومنذ العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، تزايد الاهتمام الدولي بالقضايا البيئية والتنموية، وظهرت توجهات تدعو إلى ترشيد استغلال الموارد الطبيعية، وتحقيق التوازن بين متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والحفاظ على البيئة، بما يضمن حقوق الأجيال الحالية والمستقبلية ويعزز فرص التنمية الحضرية المستدامة.

٣. التجاوزات التي تعرضت لها منطقة راغبة خاتون بعد ٢٠٠٣

الاشكالية الاولى: الاختلالات العمرانية

سعياً وراء الحصول على السكن في ظل الزيادة السكانية المهولة، فقد شكل التهجير أحد اسبابها الاساسية، وفي ظل عجز الدولة عن توفير السكن المناسب، أو من منطلق الرغبة الشديدة في شرعية الاستثمار العقاري في مشروعات السكن العمودي او الافقي او مشروعات المحلات والمدارس الاهلية، ومع عدم الاخذ بنظر الاعتبار التناسق بين الوحدات العمرانية، مما عرض تلك المنطقة الى تضخم سكاني ادى الى حدوث مشاكل منها:

١. تمدد المحلات التجارية

وقد تفاقمت هذه الظاهرة واخذت بالتمدد على حساب المناطق السكنية مما يعرض ساكني المنطقة الى عدم الاستقرار والتمتع بالجمالية العمرانية لتلك المنطقة.

٢. اختلال توازن الكثافات السكانية

ففي وحدات التمدد العمراني الرأسي حدث تركيز الكثافة السكانية على نفس المساحة السابقة من الارض والتي كان يقيم عليها عدد اقل بكثير من السكان، فعلى سبيل المثال منزلا كبيرا كانت تقيم به عائلة واحدة تم هدمه وبناء قيصيرية عمودية وافقية ذات مساحة صغيرة جدا لكل وحدة سكنية في تلك القيصرية.

٣. تمدد المدارس الاهلية

تسببت احداث بعد ٢٠٠٣ في هجرة سكانية كبيرة العدد، فالعديد من الدور السكنية ذات القلاع الفارهة او الفلل تسببت الرغبة الجامحة في الاستثمار لدى اصحابها المقيمين خارج العراق او داخل العراق الى تحقيق مكاسب مادية ولو على حساب مصلحة الاخرين. كأن يستثمر بيته محلات تجارية او مدارس اهلية او مولدة كهرباء محلية.

٤. الضغط على خدمات المنطقة

لقد ادى التضخم الحضري الافقي والرأسي غير المنظم وغير المخطط الى الضغط على خدمات المنطقة، كأزدحام المدرسة بالطلبة على سبيل المثل وانتشار العدد الكثيف للمولدات الكهربائية المحلية.

٥. الضغط على شبكات البنية الاساسية

ومنها المضايقات التي يتعرض لها صاحب السكن بسبب مشاكل مجاري المياه ومضاعفة خطوط الكهرباء للحد الذي تعجز تلك الميزانية عن استقبال خطوط الكهرباء المتزايدة مما يضطرهم الى الاستعانة بميزانية اخرى تجاوزاً، ولم يقتصر التجاوز عند هذا الحد بل اصبحت العوائل تمد بعمرانها مستحوذة ومزينة الرصيف والتعامل معه كأنما حديقة تابعة للبيت مسيجا الرصيف وحارما المارة من المشاة السير عليه درءً لمخاطر الشارع.

٦. فقدان الفضاءات المفتوحة فضلا عن الحدائق الخضراء المفتوحة

تسبب التوسع الافقي والعمودي للعمران في الازدحام العمراني وفقدان الفضاءات المفتوحة بين الدور السكنية فضلا عن فقدان الحدائق في البيت الواحد الذي كان يضم حديقة تتجاوز المئة والمئتان متراً.

نظرا للرؤية المادية التي طغت على الرؤية الجمالية في التعامل مع الحياة. فأصبح اصحاب الدار يبحثون عن متنفسات بديلة ولا يجدوها سوى في الشارع او المتنزهات.

الاشكالية الثانية: تلوث بيئة المنطقة

١. تلوث الهواء

تسبب التراصف السكني ذي المساحات الصغيرة البناء للبيوت السكنية في التلوث الهوائي فمن الصعوبة ان تستنشق هواء نقي خالي من الروائح المتسببة من المجاورة المكانية لمطبخ الجار او التلوث القادم بسبب الزخم من السيارات المزدحمة، غير متناسين المولدات الكهربائية وما تحمله من غازات سامة.

٢. التلوث السمعي

وهو ما يحدث بسبب البناء المتراصف والخالي من الفضاءات بين البيوت فضلا عن ضوضاء الشارع بسبب الزخم السكاني فهناك من يلعب عبثاً كرة القدم او يسعى والاصدقاء للتجمع على الارصفة متبادلا الحديث والنكته بأصوات عالية متناسي جاره وسكنة المنطقة مثلما متناسي وجود ساحات واسعة لممارسة كرة القدم بعيداً عن المنطقة وحرصاً على هدؤها وسكينتها.

٣. التلوث الجمالي، البصري

لقد تحولت الصورة الخارجية المرئية للمباني والمناطق من بيوت ذات مساحة واسعة متناسقة في الرؤية والذوق الجمالي الى شتات من المباني المتنافرة والغير متناسقة سواء في الحجم ام النوع ام طبيعة الاستخدام فضلا عن الارتفاع والانخفاض المتناشز في الرؤية الجمالية مما أبخس المنطقة عراقتها عمراناً وتناسق الاصالة والعراقة مع الحداثة ومستجداتها.

٤. التلوث الصحي / الازمات الصحية

المؤشر من الحقائق معاش واقعاً ملموساً ، لقد كان لهذا الواقع انعكاساته السلبية على المبحوثة نتيجة التمدد عمراناً والضغط ازدحاماً سكانياً نظرة تأمل احصائية(قبل احداث ٢٠٠٣ وبعد احداث ٢٠٠٣) بدون استطراد ومبالغة في الشكوى والتعزيز برؤية سلبية ، سيتحقق للمهتم في هذا المجال مفارقة النسبة المئوية لأصحاب نقص فيتامين د ، مثلما مفارقة النسبة المئوية لمصابي التهاب العضلة المحيط نوع من الامراض الذي عجز الطب عن تشخيص اسبابه ولو اجريت التجارب والتحقق من رؤية الباحثة سيجزم الطب احد اسبابه هو قصور التهوية ومحدوديتها للبيت الواحد بسبب هذا التراصف في البنيان ، وقد تحولت الرؤية الى تجارية بامتياز في التعامل مع سعة المساحة للدار الواحد وتوضيفها مشتملات وشقق او عيادة طبية او محل للبيع ، وتم تناسي كل ما هو بشري من شأنه سلب راحة وصحة اصحاب الدار، التحسس وحساسية الصدر بسبب الروائح الوافدة من الجار سواء المطبخ او س من الاستخدامات الشخصية ذات الروائح الكريهة او العطرة .

الاشكالية الثالثة: اهدار الموارد والطاقات

١. اهدار الموارد المالية

راغبة خاتون أثر احداث ٢٠٠٣ شهدت حركة عمران كبيرة تمت الاشارة اليها اعلاه مما تسبب في خسف الشوارع وابتلاع الارصفة والاهم انسداد مجاري التصريف بمواد البناء نظرا لعدم اكتراث الاهالي لمجاري التصريف.

٢. اهدار الجهود المبذولة

مما يتسبب في تكرار الحاجة الى اصحاب المجاري وبذل الجهود الكبيرة وبالمحصلة تذهب هباء لتكرار الحالات على امتداد الزمن العمراني، إذا ما اخذنا بنظر الاعتبار بنيت وحدات سكنية عديدة دون اكتراث من اصحابها لإضافة مجرى تصريف اساسي خارج البيت وبتناسق مع المجرى الموجود بمحاذات جاره صاحب السكن الاقدم.

مثلما بنيت وحدات سكنية نتيجة لتقطيع البيت الواحد الى عدة وحدات سكنية دون تفكيك مجاري التصريف رغبة من مقاول البناء في تحقيق الكسب المادي من صاحب الوحدة السكنية لاستغفالهم المواطنين تارة مع المجاري وأخرى مع خطوط الكهرباء كأن تؤسس وحدة سكنية خطها الكهربائي على الطرف المقابل للوحدة السكنية مما ينجم عنه اخطار مستقبلية اذا ما قدر وتعرضت الوحدة السكنية الى حريق فالإجراء الاني لمعالجة الحريق يقترن بتوقيف الكهرباء مركزيا لكل الصف السكني واذا بالوحدة السكنية يتضح ان تغذيتها للكهرباء لا تتفق والتغذية المفترضة من على جهتها.

الشكل يوضح تأثير عدم التنسيق بين الوحدات العمرانية فضلاً عن تناشز المساحات المخصصة للوحدة السكنية على التنمية الحضرية المستدامة

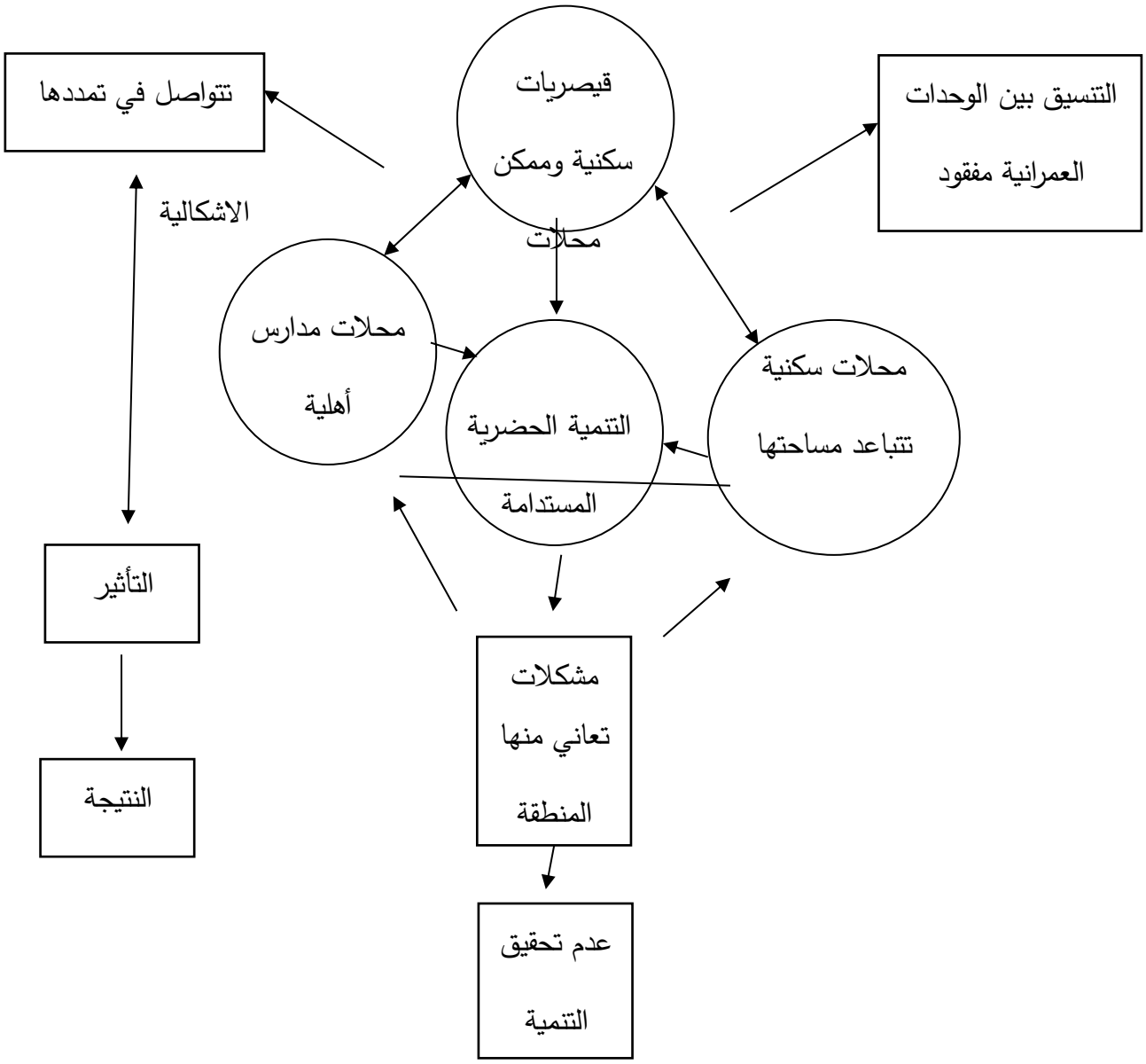

٤. ماهي الكلفة البشرية للتمدد العمراني؟

١. البعد الحضاري

تجسده انعكاسية جيدنز بقوله (ان ما نحققه من معرفة في كثير من المجالات وخصوصا التكنلوجية منها ترتد او تنعكس على مجتمعاتنا وتشكل مصادر للمخاطرة). ان مفهوم الانعكاسية او الارتدادية يعني اننا نعيش ضمن مجتمع ليس محكوما بالضغوطات الطبيعية او برتابة التقاليد. او القانون. وهذا على سبيل المثال ما جسده واقع تلك المنطقة لقد تسببت اعادة بناء وترتيب البيت بمساحة ألف متر لصاحبه المترف ماديا والمقيم في الخارج في الخلل البصري والاصح الجمالي للمنطقة فضلا عن انعكاسات سلبية اخرى تمت الاشارة اليها. والانموذج هذا يعزز ايضا تشكلية جيدنز القائلة (ان المجال الاساسي للدراسة في العلوم الاجتماعية بحسب نظرية التشكيل ليس خبرة الفاعل الفرد ولا اي شكل من الكلانية الاجتماعية، بل يتمثل في الممارسات الاجتماعية المنظمة زمكانياً).

٢. اجتماعياً

يربط غدنز مفهوم "الانعكاسية" بمفهوم "المخاطر" التي تناولها اولريخ بيك في كتابه (مجتمع المخاطرة)" قائلا: ان سير العمل في الاسواق المالية هو مثال جيد للطريقة التي يشيد بها مستقبلنا لأنه في عالم اكثر انعكاسية تختفي القدرة على التنبؤ بالمستقبل، لقد اعتبرت فلسفة الانوار ان المستقبل كان على شكل ارض غير مستكشفة ويمكننا فيها ان نرسم طرقا بمجرد ما تتوفر معلومة كافية.

يرى غدنز ان المخاطرة قضية حديثة وطبقا لعبارته (كانت المخاطرة متصلة دائما بالحداثة) ان غدنز يتكلم عن تصور خاص للمخاطرة يرتبط بالمجتمعات الصناعية ، فالرأسمالية تتغلغل في كيان المستقبل عن طريق الربح والخسارة وبالتالي عن طريق المخاطرة كعملية مستمرة فالمخاطرة هي المحرك المنشط لمجتمع بني على التغيير وصمم ان يقرر مستقبله بدلا من ان يتركه للدين او للتقاليد او الاهواء الطبيعة(ح. ك. محمد, ٢٠١٥،ص.ص٣١٣ –٣١٧). تغلغلت تلك الرؤية النظرية ذات البعد الرأسمالي الربحي والنفعي لتمد بأذرعها عالميا ومع توفر المعلومة والمعلوماتية تزداد الرؤية المستقبلية مجهولية وضبابية شرقا وغرباً على حد سواء.

٣. نفسياً

وقد تكون هي الاشكالية الاكبر إذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان الية العمران العصري تقوم على التجاور والتجاهل ما يسبب للآخر المتضرر انعكاسات نفسية قد تأخذه للتفكير بتغيير مقر سكنه. وقد ترتب على التراصف العمراني حرمانه من فتح النوافذ والتمتع بجمال الطبيعة مثلما حرمانه من التنزه بالحديقة وممارسة الرياضة الصباحية بسبب تداخل البنى وتشابك اطلالات الشبابيك، كما تنعكس سلبا ودون قصد على طبيعة العلاقة الاجتماعية لتتحول الى علاقة مأزومة قائمة على التوتر والرفض للآخر الذي قد لا يكون مذنباً فيما اختار له القدر. وما يترتب عليها من اغتراب نفسي تجاه الاخر.

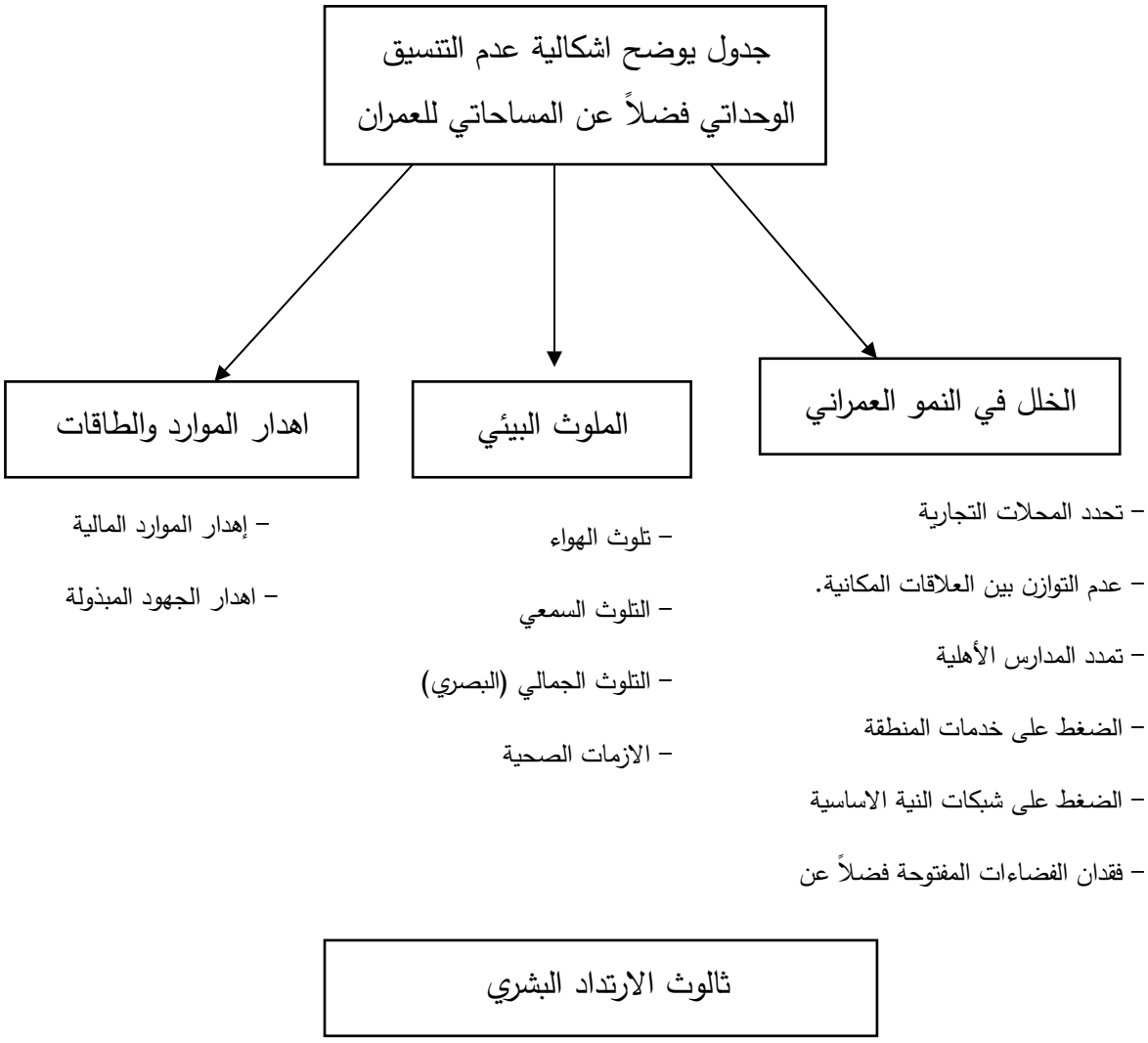

ثالوث الارتداد البشري

– حضارياً – تمدد المخاوف من : الطبيعة ، التقاليد، القانون

– اجتماعياً– العلائقية اداتية تتجاوز العقلانية.

– نفسيا – الاغتراب

٥. الرؤية الاستشرافية

على العكس من العديد من الدول، الاسرة العراقية اعتادت السكن وسط بيوت تتجاوز المئات من الامتار بل الالف متر. السياق النمطي المعيشي تغير اثر احداث ٢٠٠٣ عليه نشور على الجهات المعنية عجالة اتخاذ الاجراء اللازم بشأن التجاوزات العمرانية للحد من اثارها الحضارية والاجتماعية والنفسية التي انطوى عليها البحث كأهداف اساسية جديرة بالاهتمام والتأمل والوقوف عندها بقصد معالجتها وتحجيم تمددها لما لها من اثار على الجسد التنموي المستدام معنويا وماديا. نذكر منها ما هو اهم والاكثر تأثيرا على التنمية الحضرية المستدامة لراغبة خاتون:

١. تمدد القطاع الخاص متجاوزاً مراعاة ملزمات الانسجام العمراني:
لابد من وضع معايير للمكان الملائم لتشييد المدرسة وقد شهدت المدراس الاهلية في راغبة خاتون تمددا ليس له نظير عبر السنوات السابقة.

٢. ترتب على المرحلة الانتقالية لعراق بعد ٢٠٠٣ العزوف عن السكن في الدور السكنية ذات المساحات الكبيرة وهذا تسبب في خلل وظيفي للترسيمة العمرانية بشأن الحدود الدنيا لمساحة البيت السكني المحددة من قبل الدولة.

٣. نرتئي وضع معايير للمساحة المعتمدة للبيت السكني بالأمس تم اعتماد ٢٠٠م مع واجهة ثمانية أمتار والسؤال إزاء الوحدات السكنية بأمتار لا تتجاوز الاربعين متر ترى اي المعيار هو الاصوب مع الاخذ بنظر الاعتبار هكذا مساحات صغيرة لأسر قد لا تملك قوت يومها. وأجد في التوظيف المكاني عمودياً هو الاستثمار الاجدى والحل الانفع مع مساحات من الاراضي الشاسعة العائدة للدولة ان تشيد عليها عمارات عمودية وتلملم القلة من اضنكها شظف العيش وتحقق له استقرارا سكني يتفق وعدد افراد الاسرة.

٤. يتحول المتبقي من مساحة البيت المقطع الى قطع اراضي، الى محط استقبال للنفايات وتعكس اضراراً فادحة على سكنة المنطقة على اصحاب الشأن وضع اليد على هكذا مساحات وأجازتها لجمع السكاني الذي اشترى القطعة لتكون بمثابة ساحة وقوف لسيارتهم او حديقة خضراء لان المتبقي عادة لا يجرؤ أحد على شرائه لضيق مساحته او مقاساته التي لا تتفق مع اي مشتري وفي تركه لمن اشترى القطعة مهم جدا يكون بمثابة الفضاء المفتوح الذي يصب بالفائدة على جميع من اشترى القطعة كفضاء مفتوح وصحي.

٥. مثلما العمل على سحب المدارس من قلب المناطق السكنية وايجاد الحلول لها فأصحاب المدارس الاهلية أصبحوا ميسوري الحال جدا فبقصد الحيلولة دون استفحال الاداتية والنفعية مع الشخصية العراقية في تعاملها مع الاخر حبذا لو تفعل الية ضبط تعمل على الحيلولة دون التمدد المدرسي بين بيوت المنطقة السكنية.

٦. كذلك بالنسبة لتمدد المحال السكنية على الارصفة وبمحاذات المناطق او البيت الاسري.

٧. سيارات البلدية المسؤولة عن جمع النفايات يزودون بموبايلات وتربط بكاميرات لمتابعة من يتسبب في رمي النفايات على الارصفة والاماكن المتروكة من القطع او البيوت المعروضة للبيع، غير مبالين بالضرر المنعكس على سكان المنطقة ومحاسبة هؤلاء بمبلغ مالي عالي لا يستهان به.

٨. مدرسة المهج الابتدائية الاهلية عريقة في عمرها الزمكاني خرجت أجيال تستحق الفخر ولا زالت تخرج أكفأ التلاميذ، موقعها من وجهة نظر الباحثة مثالي نعم في نهاية أطراف الرصافة الوجه المحاذي لشارع المشاتل ونهاية شارع ساحة عنتر موقعها ذات فضاء مفتوح الا ان التمدد السكاني أصبح يضطرها الى زخم صفي يتجاوز الخمسين طالب في الصيف ولك ان تتصور زخم جلوس الطلبة الحرج فضلا عن قدرة المعلمة على اداء الدرس وفق المنهجية الاكاديمية الناجحة بل اضطرت الى دوام مزدوج صباحي – ظهري.

٩. مستشفى دجلة الاهلي موقعها ايضا على الطرف الاخر الذي يشكل بداية أحد فروع ساحة عنتر ويواجه شارع المشاتل فضائها مفتوح وبمقاسات صحية يحاذيها بيت ومحل وحبذا لو يتراصفها صيادلة موجودة صيدلياتهم بشكل مبعثر في نفس الشارع بل وقريبة كل القرب من المستشفى لكن. أحدهما يمين والاخر يسار يتراصفا ليشكلا نهاية ذات نسق جمالي للمنطقة.... ثقتي كبيرة اصحاب الاستثمار الاهلي يبديان كل التعاون مع الرؤية التخطيطية، للجهة المؤسسية فالدولة حسب تصور الباحثة بنت ثقافتها في هذا المجال على اساس التعاون والدعم المادي والمعنوي للمستثمر

١٠ . ان تحل الدولة التجاوزات من قبلها مع اعفاء المتجاوز من اي رسوم مادية او تعويضه ماديا ان اقتضى الامر، ولا يستشار اي متجاوز، تجنباً لخلق الاعذار والتبريرات والوساطات لإبقاء المتجاوز عليه كما هو، فللتجاوزات في خباياها المستقبلية عواقب وخيمة على المواطن قد لا يدركه المتجاوز وأن أدركه ممكن لا يبالي وهذا ما يبرر

١١ . بالإمكان توظيف المتروك من البنايات في تلك المنطقة والعائدة الى الدولة وبناءها عموديا وجمع المتمدد من المحال على امتداد المنطقة ومركزتهم في مكان واحد.

١٢ . اجور جمع الانقاض الشهرية للاسرة الواحدة عشرة الاف دينار، ان تشتري البلدية لكل اسرة سندانين بزوهور دائمية صيف وشتاء وتتحمل قساوة الصيف ذات نسق وشكل جمالي واحد وتوزع على الارصفة ويتابعها الاهالي اجدها خطوة تجدي نفعا وتقربنا الى فكرة اعادة الاهتمام بالمسطحات الخضراء او الحدائق والزهور بعطرها الفواح من الكاردينيا وغيرها من نعم الطبيعة الجميلة التي انعم الله بها علينا وجعلنا خليفته عليها. فالانسان هو المستخلف على هذه الارض والعالم الجميل.

جدول (١) معايير الاسكان الحضري ١٩٧٧

المناطق العمرانية	مساحة القطع السكنية م٢	الكثافة السكنية شخص/ هكتار	السكن %	الخدمات %	الطرق والمساحات المفتوحة ومواقف السيارات	اصناف الطرق وشوارع الخدمة
العمارات السكنية	**حسب التصميم**	٢٠٠ -٢٥٠	**٣ طوابق**	١٥	٦٥٪	**١٠-٢٠م الشوارع ٤-٨م طرق الخدمة**
الأولى	٢٠٠	١٥٠ -١٨٠	٤٠- ٥٠	١٠ -١٥	٣٥-٥٠٪	**١٠- ١٢م الشوارع ٤-٦م طرق الخدمة**
الثانية	٣٠٠	١٢٠ -١٤٠	٥٠-٦٠	٧-١٠	٣٣-٤٠٪	**١٢-١٥م الشوارع ٦-٨م طرق الخدمة**
الثالثة	٤٠٠	٧٥-١١٠	٥٥-٦٥	٥-٨	٣٠-٣٧٪	**١٥-٢٠م الشوارع ٨م طرق الخدمة**

جدول (٢) معايير مخطط الاسكان ١٩٨٣

نمط الإسكان		مساحة قطعة الأرض (م٢)	عرض قطعة الأرض (م)	الحد الأدنى للرجوع من الشارع (م)	نسبة البناء من مساحة القطعة (%)	الكثافة السكانية الصافية (شخص / هكتار)	الكثافة البنائية المتحققة (لطابقين)
سكن منفرد	دار ذات أربعة اوجه مكشوفة	٤٠٠-٦٠٠	١٦-٢٤	٤	٣٠٪	٣٠-٨٠	٠,٦
	دار ذات ثلاثة أوجه	٣٠٠-٤٠٠	١٠-٢٠	٤	٤٥٪	١١٠-١٦٠	٠,٩
	دار ذات وجه أو وجهان مكشوفان	٢٠٠-٣٥٠	٥-١٠	٢,٥	٦٠٪	١٤٠-٢٠٠	١,٢
	دار ذات فناء داخلي	١٥٠-٣٠٠	٥-١٠	٢,٥	٧٥٪	١٧٠-٢٩٠	١,٥
سكن متعدد الأسس	أبنية منخفضة ٣-٤ طابق	-	-	-	-	٢٠٠-٤٠٠	-
	أبنية عالية أكثر من ٤ طابق	-	-	-	-	٢٥٠-٥٠٠	-

٦. الاستنتاجات

توصلت الدراسة إلى أن منطقة راغبة خاتون تمثل نموذجاً واضحاً للتحديات الحضرية التي واجهتها العديد من المناطق السكنية في مدينة بغداد بعد عام ٢٠٠٣، نتيجة التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي انعكست بصورة مباشرة على واقعها العمراني والبشري. وقد أسهمت موجات الهجرة القسرية والطوعية، إلى جانب التوسع العمراني غير المنظم وضعف الرقابة التخطيطية، في إحداث تغيرات جوهرية في البنية المكانية والسكانية للمنطقة.

وأظهرت الدراسة أن التجاوزات العمرانية لم تقتصر آثارها على تشويه المشهد الحضري وإضعاف كفاءة البنية التحتية والخدمات العامة فحسب، بل امتدت لتشمل أبعاداً اجتماعية وثقافية متعددة تمثلت في تراجع مستوى التماسك الاجتماعي وإضعاف الشعور بالانتماء المكاني، فضلاً عن التأثير في الهوية الحضارية للمنطقة التي كانت تمثل جزءاً مهماً من النسيج العمراني لمدينة بغداد.

كما بينت النتائج أن غياب العدالة التوزيعية في توفير الخدمات والموارد وفرص التنمية أسهم في تعميق الفجوات الاجتماعية والمكانية بين السكان، الأمر الذي انعكس سلباً على مستوى الرضا المجتمعي وجودة الحياة الحضرية. وأكدت الدراسة أن التنمية الحضرية المستدامة لا يمكن أن تتحقق من خلال المعالجات العمرانية وحدها، بل تتطلب رؤية متكاملة تراعي الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والبيئية والثقافية بوصفها عناصر مترابطة ومتكاملة.

وأشارت الدراسة إلى أن الاختلال الذي أصاب بعض وظائف النسق الاجتماعي والحضري، ولاسيما ما يتعلق بالتكيف والتكامل وتحقيق الأهداف، قد أدى إلى تراجع قدرة المنطقة على الاستجابة للمتغيرات الحضرية بصورة متوازنة، وهو ما انعكس في انتشار أنماط من الاستخدام غير المنظم للأرض وظهور العديد من المشكلات البيئية والاجتماعية.

وخلصت الدراسة إلى أن تحقيق التنمية الحضرية المستدامة في راغبة خاتون يتطلب إعادة تفعيل دور التخطيط الحضري الاستراتيجي، وتعزيز المشاركة المجتمعية في صنع القرارات التنموية، وتطبيق مبادئ العدالة المكانية في توزيع الخدمات، بما يسهم في استعادة التوازن العمراني والاجتماعي للمنطقة. كما أكدت أن تجربة راغبة خاتون يمكن أن تشكل إطاراً تفسيرياً مهماً لفهم التحديات الحضرية التي تواجه المدن العراقية عموماً، وأن معالجتها وفق منظور التنمية المستدامة تمثل خطوة أساسية نحو بناء بيئات حضرية أكثر استقراراً وكفاءة وقدرة على الاستجابة لمتطلبات الحاضر والمستقبل.

المصادر

al-Aʿẓamī, W., & Ḥanīfah, A. (n.d.). تاريخ الاعظمية: مدينة الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان: ١٥٠-١٤٠٠ هـ, ٧٦٧-١٩٨٠ م. *(No Title)*.

Baghdādī, J. al-Ḥanafī. (1963). معجم اللغة العامية البغدادية. *(No Title)*.

أحمد, & محمد, ب. (٢٠١٠). شناشيل مدينة الاعظمية في بغداد. *حولية الاتحاد العام للآثاريين العرب*, *١٣* (١), ١٠٢٩-١٠٣٠.

البستنجي, ج. ع. م. (٢٠٢٤). استراتيجيات التنمية المستدامة للتخطيط الحضري في البلديات. *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية*, *٥* (١), ٧٦٣-٧٧٨.

الزهرة, س. س. ع. و. ن. ع. (٢٠١٤). المعايير التخطيطية في التجمع السكني المستدام ، دراسة تحليلية للمعيار المتنامي. *مؤتمر الاسكان العربي الثالث*.

السلام, ر. ع. ع. (٢٠٠٠). *معالم بغداد في القرون المتأخرة في ضوء الوقفيات والإعلامات والحجج الشرعية المحفوظة في أرشيف وزارة الأوقاف بغداد*.

السلام, ر. ع. ع. (٢٠٠٤). *الأصول التاريخية لمحلات بغداد*. (ط. ١). مكتبة المثنى.

جبر, ا. ج., & جاسم, ش. ن. (٢٠١٩). التنمية المستدامة في البيئة الحضرية (مدينة بغداد إنموذجاً) *Journal of Education College Wasit University*, *2*(2).

رشد, & جلود. (٢٠١٧). التنمية الحضرية المستدامة.. عن الفكر والمفهوم. *مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية*, ٢ (٦), ١٥٠-١٦٠.

محمد, ح. ك. (٢٠١٥). *نظريات علم الاجتماع: مقدمات تعريفية*. (ط. ١). المركز العلمي العراقي؛ دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع.

محمد, ف. ع. ا. (٢٠٠٥). النمو الحضري المعاصر في العراق. *Geographical Research Journal (Discontinued)*, *5*.

موسى, م. ر. ع. ع. ا. (٢٠٢٦). دور الخصائص الموقعية والموضعية في تحقيق التنمية الحضرية لمدينة قلعة سكر *Journal of College of Education*, *62*(2), 347-362.

ميرزا, م. س. (٢٠١٤). ذكريات جميلة وصادقة من الماضي الجميل عن محلة راغبة خاتون وشارع الضباط. *مجلة الگاردينيا: مجلة ثقافية عامة*.

هاشم, ح. ع. ا. (٢٠١١). واقع ومتطلبات التنمية المستدامة في العراق ارث الماضي وضرورات المستقبل *Journal of Kufa Studies Center*, *1*(21).